الفصل الخامس عشر

ـ كَشمير ـ

يوافق الكثيرون على أن أصلَ سوءِ العلاقات بين الهند وباكستان ـ بعد قيامها ـ هو في الخلاف على كشمير، وهي الإمارة التي تقع في أقْصى ذروةٍ شمالية للهند وكان يحكمها هندوسي ـ كما ذكرنا في الفَصْل الأخير ـ رغم أن غالبية سكانها مسلمون. ربما نَسِيَ أكثر الباكستانين، بعد سبعة عشر عاماً من تقسيم الهِنْد، ماذا حدث لـ (جُوناغَاذْ) وحتى لـ (حَيْدَرْ آبادْ)، والمخازن العسكرية التي لم تُسَلَّمْ أبداً لباكستان والحسابات المالية التي احتفظت بها الهِنْد لعدّة شهور في السنة المالية ١٩٤٧ ـ ١٩٤٨م. ولقد ثَبَتَ أن الخلافات الأخرى بين الدولتين قابلة للحَلّ ـ جزئياً أو كُلياً ـ.

ولم تتكررّ الأزمات المخيفة التي حدثت في آذار ـ مارس ١٩٥٠م، وآب ـ أُغُسْطس ـ ١٩٥١م عندما كانت الدولتان قاب قوسين أوْ أدْنَى من الحَرْب، إذْ نَقَلَتْ الهِنْد قواتِها إلى الخطوط الامامية مهددةً (لاهور). ولقد حُلّتْ الآن بَعْضُ الخلافات في موضوع ممتلكات اللاجئين. وفي عام ١٩٥١ قَبلَتْ الهِنْد على مضض، أن باكستان لم يكن لها الحَقّ فقط بَل القوة الاقتصادية، خلال الأزمة النَقْدية عام ١٩٤٩م، لمقاومة تخْفيض عُمْلتها الروبية[1]؛ وتبْعاً لذلك المقاطعة الاقتصادية المتبادلة التي دامت ستة عشر شهْراً. وفي عام ١٩٥٥ عادت خدمات القطارات المنْتظمة، كما ذكرنا سابقاً، بين الهِنْد وباكستان الغربية بعد انقطاع دام ثماني سنوات. وفي شتاء عام ١٩٥٩ ـ ١٩٦٠م توقفت عمليا حوادث تبادل إطلاق النار بين الدوريات الحدودية على حدود باكستان الغربية والشرقية بعد ترتيبات وُضِعَتْ نتيجة تحديد أفضل للحدود بين الدولتين. وفي عام ١٩٦١ حُلَّ الخلاف الخطير حول تَقْسيم مياه الريّ في حَوْضِ نَهْرِ (الإنْدُوس) بتوقيع اتفاقية بعد وساطه طويلة متأنيةٍ قام بها البَنْك الدولي. ومع مرور السنين ثبت أن كل هذه المواضيع كانت غير مستعْصية الحَل بطريقةٍ أو بأخرى. إلا أن الخلاف على كشمير، منذ برز بصورة «دراميةْ» في تِشْرين أول ـ أكتوبر ـ ١٩٤٧، وخلال أربعة عشر شهْراً أغرقَ البلدين في حرب غير مُعْلنةٍ وحتى آيار ـ

(١) خفضت الهند قيمة عُملتها تبعاً لتخفيض (الإسْترليني)، ولكن باكستان قرّرتْ عدم التخفيض في (روبيتها)، ورفضت الهند الاعتراف بقرار باكستان: (راجع الفصل السابع عشر).

مايو ـ ١٩٦٤ (أي أثناء تأليف هذا الكتاب) بَقِيَ على كل حال، مُستعصياً على الحل، وسَبَّبَ الكثير من مشاعر الكراهية بين البلدين.

ويمكن العودة إلى الأسباب الأصلية (لِمُشْكِلة كشمير) كذلك لَحَرْب السيخ الانتقامية وَفشَلِ قوةِ حرس الحدود في السيطرة عليها. فكلاهما يُعْزى إلى التهور البريطاني الطائش ـ والبَعْضُ يُسميه «التسرُّع غير الأخلاقي» في قرار الانسحاب الذي تَزَعمه اللورد (مونْبَاتِنْ) وتخلصَ البريطانيون فيه في آب ـ أغسْطُسْ ١٩٤٧ من مسؤولياتهم المترتبة على حُكمهم للهند. والمشكلة الجغرافية والتاريخية الهائلة، التي ذكرناها سابقاً، لِمُسْتَقبل المقاطعات الأميرية ـ أو الإمارات ـ لم تَتَعَامَلْ معها أبداً الحكومة البريطانية ولا نائب الملك حتى قَبْل أيام تقريباً من موعد الانسحاب. فقبلَ ثلاثة أسابيع فقط من الموعد المضروب لِنَقْل السلطة جَرَّتْ محاولة جادة ـ رغم شُبْهَتِها اللا أخلاقية ـ لِحَلِّ هذا الموضوع بأسلوب مُرتب ونهائي: ففي مؤتمر في (دِلْهي) دُعِيَ إليه حُكام الولايات على عجل في الخامس والعشرين من تموز ـ يوليو ـ وكان أوّل وآخر لقاءٍ لنائب الملك بهؤلاء الحكام، تنكرَ ابن أخ الملك إدوارْدْ السابع لتأكيدات الحماية التي تعَهد بها الملك لأمراء المقاطعات الأميرية عام (١٩٠٨)م[1]، وألْقى بهم للذئاب الوطنية. لقد صَرّحَ بأن لهذه الإمارات الحق، بعد انتهاء الحكم البريطاني، وكان على وَشَك انتهائه، في محاولة البقاء مستقلة إذا أرادت، أوْ الانضمام إلى أي من الدولتين الجديدتَيْن؛ ولكن ليس هناك إمكانية لحصول الإمارات على مساعدة أو تَشْجيع من بريطانيا بعد ذلك. فمَصْلَحَتُها الآن ـ حسب رأيه ـ هي بكل بساطة في تقريرها الانضمام الآن حَسْب أفضل الشروط التي تستطيع الحصول عليها، وقد لاتسمح فرْصَةٌ أخرى بذلك، إلى الدولة التي يُوجهُها إليها موقعها الجغرافي على الخريطة ومَيْلُ غالبيّة سُكانها؛ وهو مُسْتِعدٌّ لمساعدتها في هذا المجال.

ولكن لم يكن الوقت المتبقي كافياً لحكام تلك الإمارات وكانوا من الشخصيات الرَجْعية المُعَوَّقةِ في أكثر الاحيان، ليحْزُموا أمْرهم. وجاء يوم الاستقلال وبقي ثلاثة من حكام الإمارات (إحداهما صغيرة والاثنتان الباقيتان كبيرتان) مترددين بصورةٍ خَطِرة. والعجيب أنْ لمْ يوجد عدد أكبر منها في مثل هذه الحالة؛ لم يَبْذُلْ الحكم البريطاني عِبْر السنين أي محاولة لِتحضير هؤلاء الحُكام الفرديين السيئي الطالع للتغييرات الهائلة التي

(١) وكانت هذه التأكيدات تِكراراً لما تعَهَّدت به الملكة (فكتوريا) في خطابها عند استلام العرش عام ١٨٥٨م.

تتابَعَتْ الآن بسرعة، وأصبح مستقبلهم الشخصي وإماراتهم أيضاً في مَهَبّ الريح. ونحن متأكدون من أنه لو كان نائب الملك آنذاك شخصاً آخر غير اللورد (مونتباتِنْ) أقلَّ حيويةً مثلا، شخصٌ بطيء الحركة كاللورد (لِنْلِثغو) نقول لو كان الأمر كذلك لَوَصَلت غالبية هذه الإمارات، وتعدادها، بين كبيرةٍ وصغيرة، (٦٥٠) إمارة، يوم الخامس عشر من آب ـ أغسطس ـ متردّدَةً أيضاً.

ويمكن القول طبعاً إن تأكيدات بريطانيا عام ١٩٠٨م في حماية أمراء المقاطعات كانت أيضاً أمْراً أقل بكثير من تأكيداتها عام ١٨٩٩ لحليفتها البرتُغال بحماية مُسْتعمراتها عِبْرَ البحار ـ بسبب المدى الجغرافي الأوسع للتعَهد ـ والتي جعلها المستر (نِهْرو) أضحوكة غير سارة عام ١٩٦١ عندما احتلَّ (غُوَا) ولا ننكر أن المناسَبَتَيْن تختلفان... والواقعية كلمة يجب كُرْهُها!!. ولكن، مع ذلك، يبقى القول صحيحاً: إنَّ تخلي بريطانيا عن الأمراء في الهند للوطنية الهندية عام ١٩٤٧ وتخليها عن البرتغال عام ١٩٦١ بعدم الوقوف أمام (نهْرو) عند احتلاله لمستعمرة (غوَا)، نقول هذان الأمْران لم يُسْهِمَا في تَحْسين سُمْعَةِ بريطانيا لإخلافِها بوعودها.

ومن الإمارات الثلاث التي بقيت متردّدة كانت إمارة (جُونا غارْ) على ساحل (كاثياوارْ) في منتصف الطريق بين (بومْبَايْ) و(كراتْشي) واغلب سُكانها من الهندوس ولم يكن حاكمها المسلم شخصية قويّة على كل حال. وحَسْب نصيحة اللورد (مونْتْباتنْ) كان أفضل حَلّ لهذا الحاكم هو بالانضمام للهند لميْل سكان إمارته لها. ولم.. تكُنْ ... الدهشة كبيرة... لردّة فِعْل... الرأى العام ـ لتفاهة حجم الإمارة وعدم أهميتها فأكثر الناس في الواقع لم يَسْمَعُوا بها ـ عندما ظهرت الحقيقة في خضم أحداث دمويه ضَخَمْة في منتصف إيلول ـ سبتَمْبر ـ عن طلب الأمير الانضمام لباكستان بعد أيام قليلة من حدوث التقْسيم.

أما ماذا كانت دوافع حكومة باكستان لقبول طلب الأمير، وربما تشجيعُه عليه، فأمر غير معلوم. ويلمح (كامبلْ جُونْسُون) بصورة غير لطيفة، كعادته، إلى وجود فَخّ مُعقد نصبته الوزارة الباكستانية بعناية للاضرار بالهنْد. ولكن الأرجح أن قرار الحكومة الباكستانية، المعادي بلاشك، أتُخِذَ على عجلٍ بغير تَرَوّ إبان فترةٍ من الضغوط الهائلة عليها في نواح أُخْرى، وثبت بعد ذلك على كل حال أنه لم يكن حكيماً. ولكن من الممكن في الواقع الدفاع عنه على أساس قانوني (وربّما كان السيد جناح يُعطي كثيراً من الوزن للنواحي

القانونية)؛ فكما شَرَحَ الموضوع: كان الامراء أحراراً في الانضمام أو عَدَمِهِ إلى أي من الدولتين ـ الجديدتين ـ ولو كانت الأجواء، آنذاك، أكثر طبيعية كان يمكن دَعْمُ هذا القرار جغرافياً أيضاً بسبب وقوع (جوناغاذْ) على ساحل البحر. وهذا كل ما كان يمكن تقديمه في معرض التبرير ولم يُؤد القرار في الواقع إلى أي شيءٍ حسن لباكستان، بل أدى إلى دمار الحاكم الأخرق وعائلته، واتخاذ هذه الحادثة كمثل في النقاش بالنسبة لإمارة كشمير لم يكن لصالح باكستان لانه كان من الممكن أن تَرِدَ كشاهد مَعَها وضدَّها في آنٍ واحد. وبما أن العلاقات بين الباكستان والهند كانت متوترة آنذاك إلى آخر حدّ، أثار موضوع (جُونا غاذْ) غضباً شديداً في الهند. فلما وَضَحَ أن حكومة باكستان كانت جادّة في موافقتها على انضمام الإمارة إليها، حَرَكَتْ الهند قواتها باتجاه الإمارة وبدأت قَعْقعة السلاح في الأفق وأُقيمت حكومة (جوناغاذْ) الحُرّة في الهنْد وعلى رأسها أحد اقرباء السيد (غاندي). وتوقعتْ الأوساط العليمة بعض الاضطرابات الحقيقيّة داخل الإمارة، وهذا ما حدث فعْلاً. وفي السادس والعشرين من تشرين الأول ـ أكتوبر ـ هرب حاكم الإمارة إلى باكستان ثم دخلت القوات الهندية الإمارة بعد أيام قليلة واحتلتْها للمساعدة على إعادة النظام... وتعلمت الهنْد «تقْنية» التوسُّع وطبقتها بنجاح في أماكن أخرى، ليس فقط في (غوا) عام ١٩٦١م بل طبقتْها بصورة مُعدَّلة في عام ١٩٥٠ ـ ١٩٥١ وعام ١٩٦٠ ـ ١٩٦٢م في نيبال وكذلك في عام ١٩٤٨م، كما سنَصفُ باختصار لاحقاً، في إمارةٍ أخرى من الإمارات الثلاث وهي أهمّ وأكبر من (جُونَا غَاذْ)، في (حَيَدَرْ آبَاذْ).

ومشكلة (حيدر آباد) تحتاج لتحليل هنا خارج إطار التسَلْسُل التاريخي للأحْداثِ. فلقد انفجرتْ بعد عدّة أشهر من قضية كشمير الأكثر تعْقيداً ولكنها انتهتْ فجأة بشكل قاطع. ورغم أن مداها الجغرافي اختلف تماماً عن مشكلة (جونا غاذْ) فلقد كانت تركيبتُها الطائفية مطابقة. أي إن التاريخ ترتب بحيث استلَم حاكم مُسْلم السلطة، ولم يكن قوي الشخصية، في إمارة غالبية سُكانها من الهندوس. وخلال حكم الامبراطورية البريطانية في الهنْد اعترف بحيدر آباد كأول (إمارة) في الهنْد وكان حاكمها يتميز في طبقَته عن أي حاكم آخر، ولقد سُميَ رسمياً «الحليف المخلص» للحكومة البريطانية. ومنذ عام ١٨٥٧ اعتبر هو واجداده في سائر أنحاء شبْه القارّة البقية الباقية الوارثين لتقاليد المغول. فباسْتثناء منقطة (برَارْ) الواسعة التي أُجّرتْ للبريطانيين كانت مساحة الإمارة (٨٢) ألف ميل مربّع وهي مماثلة

لمساحة بريطانيا نفسها، بما فيها اسكُتْلَنْدا، أو مَساحة ألمانيا الغربية، أو مساحة رومانيا وكان مجموع سكانها في إحصاء عام ١٩٤١ ستة عشر مليوناً. وكان يعترض احتمال استقلالها كدولة، عائقٌ مادى كبير، فلقد كانت محصورة داخل شبْه القارة دون منفذ على البحر مثل ما كانت (جُونَا غاذْ)؛ وفي آب ـ أغُسْطسْ ـ عام ١٩٤٧ وجدت الإمارة نَفْسها محاطةً باتحاد الهنْد، ولم يكن لها، مِثْل كشمير، حدود متاخمةٌ لباكستان. ولكن رغْم هذه الحقيقة غير المواتية، اعتمد «النظام» على حجم الإمارة وغناها وسمعتها التاريخية وأظهر في الخريف ميلاً قوياً للاستقلال وعدم الانضمام لأيّ من دولتَيْ الهنْد وباكستان وكان هذا حَقُّهُ القانوني وبدأت محاولات الإقناع والضغوط عليه من قِبَل اللورد (مونتباتِنْ) وحكومة الهند. والواقع إن البعض يعتقد أن أحد العوامل الضخمة التي جعلت زعماء حزب المؤتمر يطلبون منه أن يُصبح حاكما عاماً للهند هو الاستفادة من صلاته بالتاج البريطاني للضغط على حُكام الإمارات العنيدين بنَفْس الطريقة التي ضغطوا فيها عليه. ولاحاجة للخوضِ هنا في تفاصيل النقاش الطويل ـ وأحيانا السخيف ـ الذي تبعَ ذلك، ولا للأعمال المتسرعة التي قامت بها منظمة مسلمة متطرّفة تدعى (رازْكارْ) داخل الإمارة نفسها لأن قَدَرَ (حيدر آباد) الذي استقرت عليه بعد أيلول ـ سبتمْبرْ ـ عام ١٩٤٨ ليس من مواضيع هذا الكتاب.

وانشغال باكستان كثيراً في ذلك الوقت كان بسبب تَقْديرها أنّ محاولات كهذه سَتطبقَ ضدّها ـ وهو ما حدث في الواقع عندما هُددَتْ بصراحة إبان ازمات تشبه الحروب في عامَيْ (١٩٥٠) و(١٩٥١) ـ بنَفْس الطريقةِ التي أُخْمِدت فيها نار حيدر آباد، وكانت هي ذات الطريقة التي اتبعَتْ في (جونا غاد) حوادث حدوديّة أثارت اضطرابات داخلية، وتهديدات عسكرية بَلَغَتْ ذرْوَتها فجأة ـ وفي نفس الوقت تماماً تصادف موت السيد جناح في باكستان وكان موته كارثة مخيفة ـ فيما سّماه غانْدي والحاكمون (المسالمون). في دِلْهي، بتعْبير مُلطف «عملية بُوليسية» بَدَأَتْها المدرّعات وقاذفات القنابل من طائرات (سْبِلفايرْ). ورَغْم اتّساع (حيدر آباد) وعُمْق جذور التقاليد الإسلامية الضاربة في أرْضِها، أَخْضَعَها النظام الهنْدي الجديد في أقلّ من خمسة أيام، بمساعدةِ مستشارين عسكريين بريطانيين، في عملية عسكرية مُنسقَةٍ كاملة الإعداد والتنفيذ.

وفي كشمير، وهي ثالث الإمارات التي بقيت مُترددة يوم الاستقلال كانت الأدوار الطائفيّة مَعْكُوسة. وهذا ماجعل الصراع من أجلها سببَ السوْء في العلاقات الهندية

الباكستانية؛ ٧٧٪ من سكانِها مسلمون ولكن حاكمها أوْ (المِهْراجا) كان هندوسيّاً، وكان من نواح كثيرة شخصية تَسْتدعي الرثاء والأسف. ومع ذلك عمدت الهنْد لاسْتعمال قواتها المسلحة. مرة أخرى، محتجة هذه المرة بحججٍ معاكسة تماماً لحجَج تدخلُها في الإمارات الأخرى، بأسلوب غير ديموقراطي بلْ إمْبراطوري احتالت به لِغَزْو الشَطَرْ الأغْنى والأكثر سكاناً من كشمير في أواخر عام ١٩٤٧ وبقيت منذ ذلك التاريخ في الإمارة مُدعيةً، بالإضافة لذلك، حقاً قانونياً بالشطر الآخر منها. أمّا كيف وصَلَتْ الهنْد لهذا الموقف المتناقض بل المثير للاشمئزاز فأمر سَنُحَلِّله الآن.

ولاية ـ أو إمارة ـ (جامو وكشمير) كانت أوسع بقليل من ولاية حيدر آباد، بعد فَصْلِ (بْرَارْ) عَنْها. أضف إلى ذلك أن لدى (كشمير) شيئاً آخر ليس لحَيْدَرْ آباذْ): أهمية استراتيجة هائلة بسبب موقعها في أعالي آسيا الوسطى بالقُرْب من روسيا والصين وأفغانسْتان و(التيبتْ). وبالمقابل لم يكن عدد سكانها أكثر من أربعة ملايين نسمة[1]، أيْ رُبْع سُكانِ (حيدر آباد)، بسبب تضاريسها الجبلية. وبالقُرْب من وسَطِها، حول مدينة (سْرينَغارْ) يقع واديها الخصيب المشهور، وهو الأكثر سُكاناً، وهو، في الحقّ، صميم كشمير كما هو معروف، والمنطقة الهامة التي احتلَّتْها الهنْد عام ١٩٤٧، منطقة ذات مناظر خلابةٍ رائعة الجمال بل رُبّما تكون فريدة في نوعها ولها تاريخ طويل من الكوارث البشرية إذْ اسْتغلها الغزاةُ الفاتحون الواحد بعْدَ الآخر قَرْناً بَعْد قَرْن. ومن أمثال الملوك المُرْعِبين الذين حكموها قَبْل الفَتْح الإسلامي (ميهيرا كولا)، أو الطاغية (شنكار افرمانْ). وتتابع على حُكْمها في القرنَيْن الرابع والخامس عشر الميلادي مجموعة من المسلمين المغامرين الذين استقلوا عن سلاطين (دِلْهي)، ومنهم الداعية المتُشدد (إسْكَنْدَرْ بْهوتُ شيكان). ثم جاء المغول الجبابرة الذين اعطوها، رغم ذلك، بعض الأماكن التذكارية الرائعة في حدائق مُزينة؛ ومن بَعْدِهم حَكَمَها الأفغان وأغلبهم من البرابرة، ثم جاء السيخ الأفظاظ في عَهْد (رَانْجيتْ سِنْغْ)؛ ثم قامت مملكة (دُوْغْرا) الهنْدوسية من أصولٍ مُشتبهٍ فيها في الهضاب الجنوبية ونتيجة ذلك فقد سُكان الوادي السيء الحَظِ بَعْضِ روحانيتهم رَغْم مواهبهم وأصْبحوا منهزمين متهربين يَسْهُلُ إخضاعهم؛ وهم يختلفون تماماً عن (الدوغرا) في جنوب الولاية وعن (السُدْهَانْ) في الجنوب الغَرْبي[2] وعن أهْل (جلجيتْ) في الشمال. ولَعَلّ أكثر

(١) في إحصاء عام ١٩٤١م.

(٢) سُكان منطقة (سِدْهُنْتي) وهي جزء من محافظة (يُونْش) راجع الفصل الرابع عشر صفحة (١٧٤).

الأشياء المخجلة في القضية هو ما وصل إليه حالهم من الضَعَة على أيدي المهراجا ومساعديه أثناء الفترة التي حكم فيها (الدوغرا) المَدْعُومين بالبريطانيين الذين ساعدوهم في الوصول للحكم عام ١٨٤٦ حتى المستوطنات التي أصرتْ عليها إدارة (لانْدِ سْدُوْنْ) في عام ١٨٨٩.

وبَعْضُ اللمحات الحيةِ لتلكَ الفترة موجودة في كتابات (لُورَنْسْ) و(إ.ف نايْتْ). يَكْفي هذا الذي سَرَدْناه... كمقدمة مختصرة، والآن نَصِلُ إلى أحداث النِصْف الثاني من عام ١٩٤٧م. اعتبر أعضاء الرابطة الإسلامية كشمير ـ جغرافياً ـ منذ البِدْء كجزْءٍ لايتجزّأ من فكرةِ باكستان. والحقيقة، كما ذكرنا في الفصل الرابع، حرف «الكاف» في كلمة باكستان يرمز بالتحديد إلى (كشْمير). ولكنْ... مَا أنْ جاء الثالث من حزيران ـ يونيو ـ حتى ظهرت بَوَادرُ تَنمُّ عن أن الهنْدوس المتنفذين لم يكونوا مستعدّين لقبول الفكرة، وكان الحاكم في كشمير هندوسياً... فلماذا لا يُستَغَلُّ مَنْصِبُه هذا لتحويل كشمير إلى فَلَكِ الهنْد؟ وكانت مثل هذه الأفكار رائجة بصورة لا يمكن تجاهلها في الصحافة وفي الأحاديث المتداولة. وكان أجداد السيد (نِهرو) نفسه من أعيان (كَشْمير) فكان انغماسه العاطفي في شؤونها ظاهراً... في كتاباته وفي سلوكه الغريب في الصيف السابق خلال مباحثاته مَعَ بعْثةِ الحكومة البريطانية عندما سافر لِكَشْمير محتجاً بسبب سياسيّ تافه. وخلال الفترة ما بين إعلان الثالث من حزيران وبين يوم الاستقلال زار ولاية ـ أوْ إمارة ـ (كشمير) العديدُ من الشخصيات مثْل السيد (أَشَارَيا كرْبالاني) الذي أصبح في الستينات ـ رئيساً لحزب المؤتمر، وبعض أمراء المقاطعات من شَرْق البنجاب من (باثيالا) و(كابُورْثالا) حيث بدأت مذابح المسلمين المخيفة فيهما، وأكثر الأمور مغزى كان زيارة السيد (غاندي) الذي لم يُظْهِر من قَبْل أيّ اهتمام بأمور (كَشمير) طوال عمره السياسي. وبدأت تروج، بعد فَتْرة، إشاعات مُلفِتةٌ للأنظار ـ والناس المعتادون على نمط الحياة في شِبْهِ القارة الهندية لايقبلون الشائعات بسرعة... ولكنهم لا يتجاهلونها أو يهملونها أيضاً ـ وأفادتْ تلك الشائعات أن السيد غاندي نجحَ فيما فشلَ فيه (أشاريا كَرْپالاني)، وأن نفوذ (غاندي) بالإضافة إلى تأثير أحد رجال الدين البراهمة على المهراني في حاشية المهراجا الذين يؤمنون بالتطير، أقنعا المهراجا حاكم كَشْمير بأن انضمامه إلى الهنْد هو (قَدَرُه) وطريقه المناسب، وإنه سَيُعْلنُ ذلك عندما تحين الفُرصة؛ وإن تأكيداته في هذا المجال وَصَلتْ (دِلْهي). من ناحية أخرى

كان هناك من يقول إن مزاج مَهَراجَا كشمير كان عنيداً، إلى حدٍّ ما، في تردُّدهِ وضَعْف قراره، وهذا يبدو متناسقاً مع ما عُرِف عن شخصيته. وكان واضحاً أن هذا هو انْطباع اللوردْ (مونْتْباتِنْ) و(إسْمَايْ) أيضاً اللذين زارا الولاية بعد ذلك في حزيران وآب للضغط على المهراجا ليُعْلن قراره في الموضوع. ولقد تهرَّبَ المهراجا في اللحظة الحرجة من مقابلة اللورد (مونْتْباتِنْ) بُحجةِ أنه أصيب بوعكةٍ صحيّة مفاجئة ـ مَغْص معوي!! ـ وَروَى (إسْمايْ) بصورةٍ طريفة عن اسْتحالة جَر المهراجا إلى أيّ نقاش سياسي مُطلقاً.

ورغم كل ذلك، برزت بعض حقائق ملموسة. ففي تموز ـ يوليو ـ وَسَّعَ المهراجا جيشَه وكان مؤلفاً من الهنْدوس والسيخ، فقليل من المسلمين فقط قبلوا في الجيش رغم انهم يُمثلون ٧٧٪ من السكان؛ وَحَرَّك المهراجا القوات إلى (بُونْشْ) و(جامو) وهي ليست بعيدة عن حدود البنْجاب. ولا شك أن هذه الترتيبات ـ في حدّ ذاتها ـ كانت من قبيل الاحتياط المعقول في تلْك الفَتْرَةِ الحَرجَة، إلا أنّها أصبحت ذاتَ مَغْزَى مُعين عندما أمَر، في نفَسْ الوقْت، المسلمين المدنيين بتسْليم أي سلاح يَحْتفظُون به. ولما مرّ يوم الاستقلال دون الإعلان عن قرار الولاية ـ الإمارة ـ ظَهَرتْ بَعْضُ المؤشرات الأخُرى: إعْفاء رئيس وزراء الولاية من منصبه وكان من أعيان كشمير المتغربين ثقافةً وكان يُعرف عن السيد (كاك) ـ رئيس الوزراء أنه اقترح انضمام (كشمير) لباكستان لأن ذلك هو الأمر العملي الواقعي، ثم تعْيين السيد (نِهْرو) لـ (غوبالَسْوَامي أيانْغَارْ) كوزير بدون حقيبة في الوزارة المركزية بـ (دِلْهي) وكان بْرَهْمانياً معروفاً بعدائه للمسلمين حينما كان رئيس وزراء إمارة ـ أو ولاية ـ كشمير في الفترة ما بين ١٩٣٧ ـ ١٩٤٣، وأخيراً إطلاق سراح الشيخ عبد الله من سِجْن (سْرينغارْ) وكان زعيم حزب المؤتمر الوطني بينما أبقي منافِسُه زعيم حزب المؤتمر الإسلامي، الميّال لباكستان، السيد (شودْري غلام عباس) مَسْجُوناً، هناك أيضاً تقارير مهمة، من خلال ضباب الشائعات في تلك الأسابيع، عن مشاريع بناء طرق ونشاطات أُخرى في أقْصى الطرف الجنوبي الشرقي للولاية على حدود الهنْد. أما الجَوّ في الوادي، في تلك الفترةِ، فكان مُثقلاً بالهَمْس والتوتر والتآمر والتخمينات القائمة، وَصَفهُ جيداً (وِلْفرْدْ راسِلْ) في كتابه.

في تلك الأثناء وقع حادث في منطقة (سُودْهْنُوتي) من مقاطعة (بونْشْ) لم يعرف العالم الخارجي عنه أيّ شيء تقريبا فلقد عَزَلَتْهُ أجهزة الدعاية الهندية جانباً وباستمرار منذ

حدوثه، ونَتج عن أمْرٌ مخيف في مقاطعة (جامو) وكان أكبر وأوسع في ضحاياه البشرية من حادثة نزول قبائل الباثان عبْرَ (بارْمُولا) التي بالغت الدعاية في تضخيمها، في آخر تِشْرِين أوّل ـ أكتوبر ـ والتي كانت السبب المباشر في الأزمة الهندية الباكستانية. فبعْدان توَجَّسَ الرعاة وصغار المزارعين وسكان الغابات السُودْهَانْ) من حركة تقوية الجيش التي قام بها المهراجا وأوامره للمدنيين المحليين ـ المسلمين ـ بتَسْليم أسلحتهم، مضافا إلى ذلك ما سمعوه من تقارير عن اضطرابات البنجاب المجاور، قاموا بثورةٍ على سفوح (الهِمَلايَا) ضد نظام المهراجا وكانوا يكرهون منذ مدة طويلة وبصورةٍ شديدة ومريرةٍ مظالم المهراجا إذْ ثاروا عليه أيضاً، بصورةٍ محدودة، في أوائل الثلاثينات. ولقد بدأ التمرّد في آخر أسبوع من تموّز ـ يوليو ـ وكانت نيرانه مشتعلة تماماً في أواخر آب ـ أغسطس ـ، ولكن الارتباك ـ آنذاك ـ في البنجاب لم يسمح أبداً بوصول المعلومات الموثوقة إلى الصحافة. وكان أفضل مرجع لذلك في كتاب (سايْمُونْ)[١] الذي أعطى تفْصيلاتٍ عن النظام الضريبي الفظيع الذي كان يشكو منه أهل (سودْهَانْ).

وكان التمرّد في أساسه ثورة واضحة للفلاحين ولم تكن المعتقدات الدينية للذين قاموا بالثورة العاملَ المهمَّ في الموضوع. كانت ثورة المُضّطهدين ضد طغيان الإقطاعيين، الأمر الذي كان يستوجب اهتمام وعطف واعتراف أناس يحملون (مثاليات) السيد (نِهْرو). ولقد أعلن الحقائق بصِدْقٍ وصراحة في ٢٩ تشرين أوّل ـ أكتوبر أحد أعوانه والمقربين إليه الشيخ عبد الله[٢].

كان لدى (السُدْهَانْ)، بالاضافة لِصَلابَتِهم، بعض الخبرةِ العَسْكَرية لَيستفيدوا منها ولقد عرفت السلطات العسكرية خلال الحكم البريطاني ذلك عَنْهم وعن خصَالهم منذ زمن طويل، لذا خَدَمَ مايقرب من أربعين ألفاً منْهم في الجيش إبان الحرب العالمية الثانية. ونتيجة لذلك، ورغم نَقْصٍ هائل في السلاح ـ ولقد حاولوا استدْراكه بإرسال مبعوثين لقبائل الباثان التي تصنع السلاح ـ حققت الثورة انتصارات سريعة على قوات جيش

(١) كان يعمل آنذاك في الخدمات الاجتماعية لِوَحْدَةٍ من «جمعية الأصدقاء للإغاثة» كذلك يُسْتَحْسَنُ الرجوع إلى (سَرْوَرْ حَسَن) و(فِرغُسِنْ). ولقد تجوّل كاتب هذه السطور في منطقة سُدْهنوتي عام ١٩٥٢ واكْتَسَبَ معلومات مباشرة عنها (راجع كتاب القَمَرُ المُقرّن)، ولقد مَنَعَتْهُ وظيفته في الهنْد من القيام بهذه الرحلة قبلاً.

(٢) في كلمة ألقاها بـ (دِلْهي) إذ قال: «بدأ أهْلُ (بُونْش) حركة شعبية لإصلاح حالهم وليس الأمر طائفياً». وفي عام ١٩٥٣ عندما خالفت نظرة الشيخ عبد الله وجهة نظر الحكومة الهندية أوْدَعَتْه الاخيرة السِجْن.

المهراجا التي جَلَبَتْ على نَفْسِها المزيد من النقمة بإحراقها قرى (السودْهَانْ) دون تمييز. وكان من الممكن مشاهدة أعمدة الدخان من أماكن بعيدة مثل هِضاب مَري في غرب البنجاب، والتي لا يزال الناس يذكرونها حتى الآن. وبحلول أواخر أيلول ـ سبتَمْبر ـ حُرِرَتْ مَساحات واسعة من مقاطعة الـ(پونْش) من حُكْمِ المهراجا، بصورةٍ دائمة كما أظهرت الأحداث بعد ذلك.

أمّا في (جامو) فقد مَرّت الأمور بصورة مختلفة جدّاً. فهناك ـ على عكس الأجزاء الأخرى من كشمير ـ كان الهنْدوس والسيخ أكثر بقليل من عدد المسلمين، وخلال فترة أحدى عشر اسبوعاً بدْءاً من آب ـ أغسْطسُ ـ بدأت الفظائع الوحشية ضدّ المسلمين بأسلوب مُرتّب مثلما حدث في شرْق البنجاب، ففي (باثْيالا) و(كابُورْثالا) صُفيت الجالية المسلمة بصورةٍ تامةٍ تقريباً وكان تِعْدادها نِصْفَ مليون مسلم. لقد اختفى منهم مِئَتا ألف (٢٠٠٠٠٠) ولم يُعْرَفْ أين ضاعوا والمعتقد انهم ذبحوا أو ماتوا من الأوبئة والإرهاق؛ وهرب الباقون إلى غَرْب البنجاب. ورَغم أوضاع البنجاب المُقسَّم، بصورة عامّه، لم تَصِلْ الحقيقة كاملة إلى (دِلْهي) عن هذه المذبحة المنظمة الرهيبة ولا عن مدى اشتراك كبار الموظفين بل تآمر المهراجا شخصياً فيها إلا بعد مرور فترةٍ منَ الزمن. لقد علم زعماء المؤتمر بها في تِشرين ثاني. وتحدث عنها كاتب هذه السطور في أوائل الشَهْر الذي تلا مع السيد (غانْدي)، واستَنْتَجَ انها تَعْكسُ، أكثر من المذابح التي جرت داخل وحول دِلْهي نفسها، المزاج اليائس لداعية (اللاعُنْف) الكبير في الأسابيع الأخيرة مِنْ حياته.

ويجب وَضْعُ الأحداث الدرامية السيئة السُمِعْة التي حدثت بعد غَلَيانِ الباثان في الوادي ونزولهم عبْرَ (بارامولا) في مقابل هذه الخلفية السالفة الذكْر. وبالمقارنة لأحداث (يونْش) وبخاصة في (جامو) والتي سبقت على كلّ حال غليان الباثان، يظهر أن الآلام التي نَتَجَتْ عنها كانت قليلة نِسْبياً. وكما ذكرنا قبلاً، أرْسَلَ زعماء ثورة (السودْهْنُوتي)، التي تحوَّلتْ لاحقاً إلى «حركة كشمير الحرّه»، رجالهم عِبْر سهول نَهْر الأندوس، إلى مناطق قبائل الباثان لاستقْدام السلاح. ومنذ ذلك الوقت حتّى شَهْر تِشْرين ثاني ـ نوفَمْبر ـ كان مُسْتَقْبل العلاقات السياسية على افتراضِ وجودها، بين باكستان وقبائل الباثان شِبْه المستقلة، غيرُ مؤكد تماماً. لقد بدأت المباحثات وكان المأمول أن تقرر هذه القبائل الضخمة الثائرة دائماً، الانضمام إلى الدولة الجديدة: باكستان ولو فقط من أجل الحدّ من

مدى أذاها... ويااللسخرية! ولكن مجالس القبائل لم تُعْقَد، ومن الانصاف القول أن السلطات الباكستانية شعرت بالخوف من هذه القبائل وَوَعَتْ أنها على الأقل في ذلك الوقت لم يكن لديها الوسائل المادية للتعامل معها. فالجيش الباكستاني لم يَسْتَكْمِلْ بَعْدُ قواعده وكان في طريق التَشْكيل من العناصر المسلمة في جيش الهِنْد قَبْل التَقْسيم، وكانت بَعْض عناصره لاتزال مشغولة بِنَقْل الهِنْدُوس والسيخ الباقين من مكان لآخر على خريطة شبه القارة، كذلك نَقلُ المسلمين الذين لا زالوا على أرض دولة الهند الجديدة. وبقيت القبائل لِعقودٍ عدّة شوكة خَطِرةً مزمنةً في جَنْب الحكم البريطاني الأكثر قوة. وحتى عام ١٩٣٧ ـ ١٩٣٨م أربكتْ قبائل وزير سْتَانْ لأشْهُرٍ طويلة أكثر من خمسين ألفاً من جنود الامبراطورية البريطانية في حَرْب عصابات دامية.

ويجبُ التركيز على عامِلَيْن آخرين، كما فَسَّرْنا في الفصْلِ الثاني عشر: مُنذ ربيع عام ١٩٤٧ اهتمتْ القبائل بالصراع المَدَنيّ المُتفَجر في القِسْم الشمالي من شبهِ القارة. وتنامَى حماس القبائل للاسلام باطّراد ووجد الضباط السياسيّون صعوبة في ضَبْط هذا الحماس. وبُحلول شَهْر ايلول ـ سِبْتَمْبرْ ـ، سَخَّنتْ التقارير الواردة عن مصير إخوانهم في الدين على أيدي السيخ في شرْقِ البنجاب، حماسهم هذا لدرجَةِ الغَلَيان، ولم تخففْ اضطرابات (بيشاوِرْ) و(نوُشيرا) شيئاً من هذا الغليان[١]؛ ولسوء الحَظّ ـ وهنا يأتي العامل الثاني ـ كان العديد من الرجال الذين تَسَلّموا مناصب إدارية عالية في باكستان في أيامها الأولى،... من البريطانيين، ولقد افترض المسلمون في هؤلاء البريطانيين الحياد، إن لم يكن العداء، في أمْرٍ يتعلق بصميم إيمان المسلم وهو الجهاد، ويجب أنْ يُعزلوا عنه. ويجب تذكّر هذه النقطة عند البحث في موضوع (بارَامُولا).

فإذا استعيد ذكرُ هذه الحادثة لن يفخر بها من انخرَطَ فيها سواء منْ رجال القبائل أو من الباكستانيين الأصليين. كان فيها إقدام وجرأة ولكن كان فيها أيضاً جَشعُ وقَسْوة في غير مَحَلها. كان لها بالضرورة ذريعة للأسباب التي فُصِّلتْ، ولكن كان فيها أيضاً سوء سلوك وسوء تقدير. والأسوأُ من ذلك كُلّه الوصمةُ الواقعة الخطيرة التي نتجت عن الفَشَل النهائي. ولقد برزت فجأة في ١٩ تشرين أول ـ أكتوبر ـ عندما ركب حوالي ٩٠٠ رجلٍ من قبيلة

---

(١) ويذكر المرجع التالي أدِلةً مفصلة (وهي نشرة عنوانها: تقارير المخابرات المتعلقة بردود فِعْل القبائل على أحداث البنجاب وكشمير والهند). ولقد صدرت في (لاهور) عام ١٩٤٨ عن مدير المطبعة الرسمية ـ الحكومية ـ.

المَحْسُود ـ وهي أكثر القبائل رعونة، في شاحنات من (وَزيرسْتانْ) وسرعان ما تَبَعهمُ آخرون من الجوار: من قبائل الوزير، والدور و(البْهيتاني) و(الختاقْ) و(الثُوري) و(الأفْرِيدي) من الشمال. وقبل أن يعرف كبار الشخصيات البريطانية الحاكمة في الولاية: الحاكم والسكرتير الأوّل وقائد المنْطِقة، ماالذي كان يجري، كانت طلائع القُوة المؤلفة من ألْفَي شخص قد عَبَرَتْ الجسور الاستراتيجية على نَهْرِ الأندوس في (كوشَلْغار) و(آتُوك) متوجهةً نحو حدود كشمير في (الدُوميل) والتحَقَ بهم (المهمندْ) و(السَواطي) ورجال من (دَايْرَه) حُمِلَ بَعضُهم على طوافات بدائية.

ويبدو واضحاً أن السياسيين الباكستانيين والرسمين من المدنيين تواطؤوا بتغاضيهم عن ذلك وبمساعدتهم لرجال القبائل على الحصول على شاحنات وبترول وتموين، ويتأمين سِريةِ تلك الترتيبات[1]. ولكن يمكن التساؤل: إذا كان الرسميون البريطانيون الكبار علموا بما يُدبّر، ألم يكن باستطاعتهم الحيلولة دونه؛ وهل يكون تدخلهم حكيما ـ إذا حدث ـ ؟ لأن رجال القبائل كانوا يعتقدون أن عملهم ذاك كان جهاداً فلقد نفروا لقتال المشركين من الهندوس والسيخ الذين كانوا بدروهم يذبحون المسلمين ويستبيحون أعراضهم في منطقة (سدْهْنُوتي)، و(البنجاب) ومناطق أخرى شرْقاً. ماذا سيكون الأثر على باكستان التي كانت تخاف القبائل آنذاك، إذا حاول الرسميون المسيحيون العاملون في الحكومة التَدَخّل في الأمر؟ ففي ذلك الحين في مبدأ قيام باكستان وفي وضْعها غير المنظم بعد لم يكن باستطاعتها مواجهة حَرْب قبلية. وهل سيطيع الجنود والشرطة الباكستانيون أوامر بإطلاق النار إذا صَدَرَتْ عن جهةٍ غير مُسْلمة؟ ولو أنهم فرضاً، فعلوا ذلك أما كان الأمر سيثير المدنيين ويدفعهم للهجوم على خمسين الفاً تقريباً. من الهنْدوس والسيخ الذين مازالوا حتى ذلك الحين في الولاية؟ ربما كان من الامور الحسنة أن أخفى الموظفون الباكستانيون الأمْرَ عن رؤسائهم من كبار الشخصيات البريطانية فلقد أنقذوهم بذلك من وَرْطةِ تحمل مسؤولية القرار في مثل تلك الأمور الحساسة.

وقصة ما حدث بعد ذلك ترددَتْ روايتُها مراراً ويكفي هنا الاختصار. فبمساعدة القلة من الجنود المسلمين الذين كانوا قبل هروبهم في قوات المهَراجَا المحلية، اكتسح رجال القبائل في ٢٢ تشرين أول المعابرَ ودَخَلوا أرْض كشمير، وخلال ساعات قليلة تحرّكوا

(١) يؤكد (بيروُوْذ) وغيره من الكتاب أن رئيس وزراء الإقليم الحدودي بخاصة، كان متورّطاً في العملية.

شرقاً على الطريق الحسنة باتجاه الوادي عبر ممرات (جيلُهْمْ) وهناك بدأت الأمور تسُوء فلقد فَشل رجال القبائل في التمييز بين الهنْدوس والمسلمين لأنهم لم يعرفوا لا اللغة المحلية ولا الزي التقليدي وهاجموا العديد من المسلمين وزادت وحْشية الهجوم في ٢٦ تشرين أوّل ـ اكتوبر ـ بعد ما عطلوا محطة توليد الطاقة في (ماهُورا) ووصلوا (براموﻻ) (وهي مدينة على ثَغْرِ الوادي). وهناك قتلوا ونهبوا وحرقوا المسلمين الذي استطاعوا الهرب من مذابح الهندوس والسيخ إلى أعالي الهضاب، كذلك هاجموا خلال ذلك مركزاً للتبشير وقتلوا خمسة مُنصرين بما فيهم إحدى الراهبات. ولقد ضخمت هذا العمل السيء، رغم أنه ثانوي، أجهزة الإعلام الهندية بمبالغات شديدة لتُثير الغَرْب المسيحي. ولم يَشْفَعْ لرجال القبائل المهاجمين أن حسنوا سلوكهم بعد ذلك وحاربوا ببسالةٍ نادرة، لأن عملهم السيء في البداية سبب لهم خسارة الحملة التي قادوها؛ وتسارعت الأحداث في (دِلْهي) خلال تلْك الفترة. وكان كاتب هذه السطور آنذاك كرئيس تحرير جريده (الستيتسمَانْ) في (دِلْهي) إذْ ترك (كلكتّا) قَبْل أيام مترقباً حدوث أشياء هامة فيما يتعلق بكَشمير. فتَعْيين (أينغار) بخاصة، في أيلول ـ سبتمبر ـ جعل كاتب هذه السطور يميل للاعتقاد بان الهنْد تحاول ترتيب عملية ضم كشمير إليها والأنباء القليلة التي رَشَحَتْ من (پُونْشْ) و(جامُو)، بالإضافة لإطْلاق سراح الشيخ عبد الله، كُلها أوحتْ بأن ذروة الأحداث قد قَربَتْ. والفقرةُ التالية منقولة مما كتبه المؤلف عن تجاربه في كتاب سابقٍ صدر عام ١٩٥٣م[١] واضاف إليه ما استَجَدّ من معلومات بعد ذلك التاريخ:

«وأوّل نبأ عن دخول قبائل الباثان لولاية كشمير وَصَلَ الحكومة الهندية سِرّاً في الرابع والعشرين من تشرين أوّل ـ اكتوبر، ووَصَلت تفْصيلات أكثر في اليوم التالي. وفي صباح ٢٦ تشرين أوّل، وكان نهار الأحد، ذهب كاتب هذه السطور إلى رئاسة الأركان لسبب آخر دون ان يكون عارفاً بالانباء الجديدة، مع أنه كان يحتملُ حدوث تطورات في كشمير، والتقى هناك الجنرال (بُوشِرْ)[٢] في احد الممّرات حيث قدّم له الحقائق كما كانت معروفةً آنذاك، قائلا: «كل واحد منا في دوامة». وكان هذا هو الحال، بالتأكيد، على مايبدو ثم دُعِيَ كاتب هذه السطور في مساء اليوم نَفْسه للعشاء عند اللورد والليدي (مونْبَاتِنْ) ودونَ

---

(١) كتاب: «القمر المقَرن ـ Horned Moon» صفحة (١٠٩. ١١٥).

(٢) وكان رئيس أركان جيش الهند.

بعد ذلك الملاحظات التالية[١].

«لقد فوجئت بحُكْمِهما المتحيز لجهة واحدة في هذا الموضوع، ويبدو لي انهما أصبحا مواليين كُلياً للهنْدوس. وكان الجو في السراي الحكومي في تلك الليلة جوّ حرْبٍ إلى حدّ كبير، وباكستان والسيد جناح والرابطة الإسلامية هم العَدُو. والتحركات القبلية في كَشْمير جنونٌ مُجرم، ولا بد أنه رتب جيداً. وأكدَ لي اللوردْ مونتباتنْ ان السيد جناح كان ينتظر في (آبوتْ آبادْ) مستعداً للقدوم سريعا إلى (سُرينغار) في حال نجاح الغَزْو[٢]، كل العملية شَرّ في شر. وبالمقابل سياسة الهنْد تجاه كشمير والإمارات الأخرى بعامة كانت على الدوام ممتازة. وبعد العشاء قادَني اللورد (مونتباتنْ) إلى زاوية وقال لي: «بما انني رئيس تحرير جريدة يومية هامة يجب علي أن أعرف الحقائق كاملة، وبسبب هجوم الباثان، فضمُّ كشمير إلى الهنْد بإعلان رسميّ من المهَراجا هو في مراحله الأخيرة الآن. ونتائج استفتاء هذه الولاية ـ الإمارة ـ الكبيرة ذات الغالبيّة المسلمة ستكون خسارة السيد جناح لها بصورة قانونية. فلقد كان الباكستانيون مجانين لقبولهم انضمام (جوناغاذْ) إلى باكِسْتان، وستُنْقَلُ القوات الهنْدية جوّاً إلى كشمير في الحال، ولقد تمت الترتيبات لذلك، فهذه هي الطريقة الوحيدة لانقاذ (سْرينغار) من اكتساحها الوحْشي على يد رجال القبائل، وأشار اللورد أن في (سرينغارْ) العديد من الأوروبّيين وقد وَرَدَتْ تقارير عن اغتصاب الأوروبيات اللواتي لا حول لهن ولا قوة في المناطق التي طالها الغَزْو». ولقد دونْتُ في مذكرتي «إنه كان مُقنعاً ـ في حديثه ـ واثقاً من نفسه وذا شخصية جذابة، وكان كالقائد الناجح قبل ليلة من عملية ـ عسكرية ـ هامة مُطمئناً بصورةٍ واضحة على دَفع جريدة (الستيتسمان) بخُشونة نحو الدَعم الكامل للعملية». ولقد ذُهِلْتُ حقاً. ربما اعتبرت موضوع (جونا غاذْ) خطأ وهو أمر تافه جداً. ولكن كشمير شيء مختلف جداً. فهي ولاية يعترف الجميع أنها في الدرجة الأولى من الأهمية. ولقد امتهنتْ فيها بشدة فكرة تقسيم شبه القارّة لقسم ذي غالبية هندوسية ولآخر ذي غالبية مسلمة: وهذا هو أساس خطة الثالث من حُزيران ـ يونيو ـ

---

(١) في مذكرات خاصة. ما كان لمحتواها أن ينشر أبداً. مُفصلة أكثر في كتابي: القَمَرُ المقرن؛ ولقد وصف (كامبلْ جونْسُونْ) في كتابه تلك الأحداث بصورة خاطئة.

(٢) ولقد أثبتت التحريات بعد ذلك التاريخ أن اللورد (مونتباتنْ) كان على خطأ وإن السيد محمد علي جناح قضى معظم النصف الثاني من تشرين أول ـ اكتوبر ـ في (كراتشي) و(لاهور).

وباختيار مهراجا هندوسي دَعَمَهُ حاكم عام بريطاني أصبح ثلاثة ملايين مسلم[١] في منطقة اعتبرتْ دائماً حيوية بالنسبة لقيام باكستان، بصورة قانونية. من المواطنين الهنود. لم أتحدّث إلا قليلاً مع (اللورد) لأُعرب له عن شكي في احتمال إجراء استفتاء في كشمير الآن. وتَرَكْتُ (اللورد) وأنا مشغول الذهن أشعر أن لن ينتج عن ذلك إلا اضطراب كبير.

وفي الصباح الباكر ليوم ٢٧ تشرين أول ـ أكتوبر ـ بدأت عملية جوية كبيرة لِنَقْل القوات الهندية من (دلهي) إلى (سْرينغارْ)، وكانت بحقٍ سريعة. لم تَبْلُغْ الحكومة الهندية أنباء موثوقة عما يحدث على طريق (جيلهم) إلا في ٢٥ تشرين أول ـ أكتوبر ـ وكان عدد الطائرات الموجودة لنَقْل القوات، كبيراً، وكان يُسمع أزيز محركاتها باستمرار. وعندما كان كاتب هذه السطور مُراسلاً حربياً في أوروبا تَعَرف على مصاعب ترتيب عمليات نَقْلٍ جوية، والآن وهو في فُندقِهِ في (دِلْهي) يسمع صوت الطائرات ويتحيَّر.

في أثناء ذلك ترك بعض رجال القبائل الشديدي العَزْم، رفاقهم في العقيدة يُنْهون سلبهم وجدالهم في (براموﻻ) واستمروا في زحفهم فوصلوا صباح اليوم نَفْسِه حدود مطار (سْرينغار)، المطار الوحيد في كل الوادي الذي تستطيع طائرات النقل أن تحط فيه، وكانت العملية نزولاً ثم إقلاعاً. ولإثبات السرعة الكبيرة للنشاطات الهنْديه نَعْرضُ أن (مينُونْ) كسكْرتير لدائرة طار مرتين إلى كشمير خلال بضع ساعات للتعرف عن قرب على الوضْع ثم لختم التفاصيل السياسية.

وربما كان مطار (سْرينغارْ) والمدينة نَفسها سيقعان بأيدي رجال القبائل بَعْد الظهر. فلم يكن هناك أي شيء تقريباً يمنعهم من الوصول باستثناء جماعة الشيخ عبد الله الذين جُمعوا على عجل. ولقد انحلَّ جيش الولاية، وقَبْل ليلتين فقط هرب المهراجا مع حاشيته حاملين معهم كل مايستطيعون من أشياء ثمينة إلى مسقط رأس عائلته في الولاية ـ في جامو ـ ما وراء الجبال. ولم تأمل الوَحْدةُ المدرعة للقوات الهندية التي أرسلتْ برّاً، الوصول بسرعة ولو أن القسم الشرقي من طريق (باثانكوت ـ باهينال) قد تمَّ فَتْحُه كان كل شيء في هذه (الدراما) ـ ليس مستقبل كشمير وحدها بل مستقبل العلاقات الهندية الباكستانية حتى الستينات ـ متوقفاً على قرارات تُرجمتْ إلى عملٍ خلال ساعات في (دِلهي).

---

(١) رقم أربعة ملايين في كشمير الذي ذكرناه سابقاً يضم أيضاً اعداد الهندوس والسيخ.

وهذا يعني انه كان هناك خطة عسكرية محكمة ومكرٌ سياسي مارستهما الهند قبل القيام بأي تدخل. هذا كان رأي كاتب هذه السطور، حينذاك، ولم يكن يعتقد أن مثل تلك الخطة المحكمة لنقل القوات جواً ـ جاءتْ بنتُ ساعتها. ولكن الأبحاث المستفيضة اللاحقة كشفَتْ أنه كان على خطأ في هذه النقطة، ولم يجد أي سندٍ لشكوكه. وهناك تأكيدات خاصة مكتوبة دونها ضباط بريطانيون كبار في جيش الهنْد والتي وافق على مضمونها بعضُ الضباط الباكستانيين الذي كانوا، حتى ذلك الحين، في (دلهي) بانتظار نقلهم، وهي أن عملية نقل القوات جواً كانت آنية التخطيط، وصادف وجود العديد من الطائرات آنذاك وربما كانت إحدى مناسبات حُسْن الحظ بالنسبة للورد (مونْتْباتن).

وهذا لايعني أنه لم تكن هناك خطة سياسية لضَم كشمير للهند بدأت في (دلهي) واشترك فيها كبار زعماء الهندوس منذ حزيران ـ يونيو ـ فهناك مؤشرات قوية لذلك لايمكن تجاهلها. والسياسيون وموظفو السلك المدني من الهنْدوس لم يكونوا طبعاً أقل براعةً من زملائهم الباكستانيين في إخفاء معلومات عن رؤسائهم البريطانيين ليس من المرغوب فيه أن يطلعوا عليها.

وأوّل رد فْعلٍ حانق للحكومة الباكستانية عند معرفتها بما فعلته الهنْد كان قرارها بإرسال قواتها أيضاً. وأصدر السيد جناح أوامره من (لاهور) في هذا السبيل في مساء السابع والعشرين من تشرين أول ـ أكتوبر ـ وتمنى بعض من ألقوا نظرة رجعية نحو تلك السنوات الكئيبه التالية لاستعصاء الحل، لو أن أوامر السيد جناح قد نفذت آنذاك. ولكن عندما وصلت الأوامر إلى (راولبنْدي) وجد الجنرال (غْريسي) نفسه مضطراً لعدم التنفيذ وكان حينذاك رئيساً للأركان بالوكالة في غياب الجنرال (مسرڤي) إذْ كانت هناك صعوبات خطيرة، كما سنرى. فقرر استشارة الفيلد مارشال (أو شنلك) الذي لازال ـ حتى حينه ـ القائد الأعلى على جيش باكستان وجيش الهنْد، وكان يمارس سلطته المتناقضة من (دلهي) على قوات الدولتين ـ الهند وباكستان ـ وكانت النتيجة زيارة هذين القائدين للسيد جناح في (لاهور) في اليوم التالي وإلغاء السيد جناح لأوامره ـ السابقة ـ ، وترتيبات مع اللورد (مونتباتنْ) لمؤتمر لزعماء الحكومتين الهندية والباكستانية في لاهور في ٢٩ تشرين أول ـ أكتوبر ـ .

وثبت بعد ذلك أن «الترتيبات» كانت مهزلة فاشلة. فلقد لَزِمَ السيد (نِهْرو) فراشه متعللاً

بوعكة صحية، وكان السيد لياقة علي خان مريضا بالفعل أيضاً وعَبَّرَ السردار (باتل) عن عدم استطاعته الحضور؛ وبعد ثلاثة أيام من التأجيل للموعد جاء اللورد (مونتباتن) وحده ولم يفعل أكثر من تحويل اقتراح السيد جناح على الزملاء الغائبين. وكان في الاقتراح إعلانٌ لوقف إطلاق النار خلال ثمانٍ واربعين ساعة وانسحاب رجال القبائل والقوات الهندية على السواء. وفي حال عدم استجابه القبائل تقوم عملية عسكرية مشتركة هندية ـ باكستانية، ضدهم، وتعطى الصلاحية للحاكمين العامين في البلدين لإدارة شؤون كشمير والترتيب لاستفتاء شَعْبي.

وبعد ذلك سرعان ما رفضت حكومة الهند الاقتراح مباشرةً ـ وكان الاقتراح منطقياً حسب تفكيرنا ـ وأعد المسرح لشهورٍ وعدةٍ من الصراع المحلي بين عضوين في (الكومنولثْ) ونتج عنه هذا النفور الشديد الذي لازال بين الهند وباكستان حتى اليوم.

وقبل الحديث عن القتال، يجب إلقاء نظرةٍ سريعة على ماكان يجري بصورةٍ منفصلة في الشمال القليل السكان: في (جلْجتْ)، كانت قصة شيقة لم يعرفها إلا القليل من الناس، بسبب سوء المواصلات وهي ثورة (السُودهان) أو المذابح المخيفة من أجل استئصالهم في (جامو).

كانت (جلجت) ـ اسمياً ـ جزءاً من المنطقة التي يحكمها المهراجا، في اتفاقية (أمرِستار) لعام ١٨٤٦م. ففي الصفقة التي جَرَتْ بعد آخر حرب بين الانكليز والسيخ، والتي حظيت بانتقاد كبير، وافق البريطانيون على حُكمْ عائلة (الدوغرا) الهندوسية في جامو، وكانت العائلة نكرةً في حينه، لمساحات واسعة من الأرض ـ بما فيها وادي كشمير. ولكن لم تستطع عملياً عائلة (الدوغرا) ممارسة حقها في السلطة على (جلجتْ) إذْ لم يكن بالمستطاع الوصول إليها إلا على ظهورُ البغال عبر ممرين ضيقين على ارتفاع ١٢٠٠٠ إلى ١٤٠٠٠ قدم عن سطح البحر، تَسدهما تماماً ثلوج الشتاء. وكان ٩٩٪ من سكانها مسلمين، وحتى عام ١٨٧٧م كان يديرها في الواقع امراءُ محليون. وتدخل البريطانيون بشكل حازم تحسباً من تحرك الروس إذا اجتازوا (بامير) وأصبحتْ (جلجت) وكالةً سياسيةً على شكل الوكالات في مناطق قبائل الباثان. ولكن بقيت (جلجتْ) مع ذلك ـ نظرياً ـ جزءاً من ولاية كشمير.

ويوم الاستقلال عام ١٩٤٧ انسحب الوكيل ـ المعتمد ـ البريطاني وأرسلَ المهراجا

حاكما يحل محله وكان ضابطاً هندوسياً من عائلة (الدوغرا) من قوات الولاية فَلَمْ يُسرّ السكان المحليون بهذا التعيين ولكن تحملوه اعتقاداً منهم بأن كشمير ذات غالبية مسلمة وان المهراجا، رغم تردده، سيتبع قريباً نصيحة اللورد (مونتباتن) لكل الأمارات بالانضمام حسبْ رغبة غالبية سُكانها، وستنضم تبعاً لذلك إلى باكستان.

وكما كان الأمْر في مناطق قبائل الباثان، كان الأمن الداخلي في الوكالة مكفولاً بمليشيات وكشافة: قوة متحركة مسلمة بأسلحةً خفيفة مُشكلةٍ من أفراد مَحَليين[1]. وكان في (جلجتْ) أيضاً ثكنة للجيش لم تكن تابعة للقوات الامبراطوريه مثل ماكان الأمر في مناطق الباثان، بل تتبع جيش المهراجا وكان موقعها في (بُونْجي) على جانب طريق البغال الجبلية بعيداً عن مدينة (جلجتْ) ولم يكن حجم الجيش هناك كبيراً.

ومن سخريات القدر أن تتابع الأحداث في الوكالة، والذي كان سَهْلاً نسبياً، جاء بعد الأنباء المذهلة التي أعلنتْ في ٢٦ تشرين أول ـ أكتوبر ـ عن انضمام المهراجا للهند، اعتمدت ـ أي هذه الاحداث ـ على ضابطين بريطانيين شابين كانا لايزالان هناك: قائد الكشافة الميجر (بْرَاوْن) وكان مركزه في مدينة (جلْجتْ) نفسها وزميله الكابتن (ماثيسونْ) وهو في (تْشيلاسْ) على مسيرة أيام من (جلجتْ). وكانت الأوضاع مُربكة بالنسبةِ لِكلَيهما وهما بعيدان مئات الأميال عن أي بريطاني أو ضابط كبير يُعتمد عليه لاستشارته. ولقد أظهر المسلمون المحليون حنقهم الشديد لدى سماع الخبر، كذلك كان حال زملائهم من ضُباط الكشافة وافراد القوة التي يقودونها، وهو الأمر الأخطر. وبَدَأ علماء الدين دَعْوتهم في القرى للجهاد ضد نظام (الدوغرا)، ووصلت تقارير من الإمارات المجاورة ـ (سْوَاطْ) و(شترالْ) ـ وكانتا قد أعلنتا انضمامهما لباكستان وأنهما ستغزوان (جلجتْ). وأثار الأفراد المسلمون في ثكنةِ (بُونْجي)، على ضفاف نهر الأندُوس وكانت غالبيتها من السيخ، بَعْضَ الاضطرابات؛ من جهةٍ أخرى كان من المعلوم أن لدى السيخ والتُجار الهنْدوس في أسواق جلجت الأسلحة. وما أن حَل مساء / ٣١/ تشرين أول ـ أكتوبر ـ حتى زاد التوتر في المدينة لدرجة أن القائد المحلي لم يتوقع منه إلا تمرداً ومَذابح ستؤدي للفوضى ولن يمنعَهَا إلا إعلان عاجل عن الإرادة الشعبية التي لاجدال فيها. لذلك أرسل الضابط فصيلة من قواته

(١) انظر الفصل الثاني عشر صفحة (١٤٤) ....؛ ومع ذلك لم يكن كشافةُ (جلْجتْ) . رسمياً . جزءاً من القواتِ الحدودية.

إلى بيتِ الحاكم الهندوسي يطلب منه الحضور لمركز قيادة الكشافة حمايةً له، كذلك أمر مجموعة من (شيلاس) ومن (جلجتْ) باحتلال المعابر على نَهْر الأندوس ومنع قواتٍ من السيخ أو الهنْدوس في (بونْجي) من العبور.

ولقد حدثَتْ بعض الإصابات على المعابر بل وفي حديقة بيت الحاكم نفسه في جلجت لانه قاوم وأطلق النار على الكشافة والمتعاطفين معهم، من نوافذ البيت وقتل اثنين، ولكن في خلال ساعات انتهت العملية، وفي الثاني من تشرين ثاني ـ نوفمبر ـ رُفعَ علم باكستان خلال هتاف الجماهير وترحيبهم، وفي السادس من تشرين ثاني ـ نوفمبر ـ كان الباقون من ثكنة (بُونجي) في طريق عودتهم إلى (سْرينغار) عبر الممرات الضيقة، وبعد وقتٍ قصير كان الحاكم الهندوسي السابق يُمضي بعد ظهر كل يوم في مشاهدة لعبة (البولو) في معتقله برفقةٍ الباكستانيين. وجاء ممثل حكومة باكستان بالطائرة من كراتْشي في الرابع عشر من تشرين ثاني ـ نوفمبر ـ ليتسلم رسمياً منصبه ومن الطريف في جغرافيه باكستان المعقدة انه حتى تاريخ فَتْح طريق تسلكه سيارة الجيب لبضعة أسابيع فقط في الصيف من وادي (كاغان) عبْر ممر (بابوسارْ) على ارتفاع اثني عشر ألف قدم، كان بعد سنوات، كانت الوسائط الوحيدة لإدارة هذه المنقطة الواسعة القليلة السُكان، هي الطائرات وأجهزة الراديو.

ولدينا هنا بعض التعليقات على القتال الذي دام أربعة عشر شهراً حول الوادي في كشمير وفي مقاطعة (بُونْشْ)[1] . وأكبر حقيقة بالنسبة لباكستان انها كانت تقاتل وأيديها مقيدة وراء ظهرها. لقد شعرتْ انها لاتستطيع إرسال جيشها في البداية: لم تستطيع أبداً، وبعد ذلك بَعَثتْ نتفاً هنا وهناك ـ بصورة سريةٍ للدفاع وليس للهجوم ـ كما انها لم تستطعْ أن تدعم ـ جوياً ـ الذين يقاتلون براً (وهم مجموعة من ثوار كشمير الحرة وبعض رجال القبائل والمتطوعين الباكستانيين). ولم تستعمل باكستان سلاحها الجويْ إلا للنقل: منْ وإلى (جلجت) على تعرجات نَهْر الأندوس... بعيداً خلف خُطوط القتال.

وكان هناك سببان لهذه العوائق، فالفيلْدْ مارْشال (أو شنلكْ) أوضح للسيد جناح في لاهور يوم ٢٨ تشرين أول ـ أكتوبر ـ أنه، مثلما خمن الجنرال (غريسي): دخول الجيش الباكستاني لكشمير سيعني انسحاب كل الضباط البريطانيين العاملين فيه. وبالتأكيد لم يكن دافعه في ذلك مشاعر معادية لباكستان. وحَسْب كتاب (كونلْ)، كان الفيلدْ مارشال في ذلك

(١) يمكن الرجوع إلى تفصيلات عن الموضوع في كتاب (بِرْووذ) وفي كتاب (كوزبِلْ).

الحين قَرْفاناً تماماً من موقف الهنْد تجاه جارتها باكستان.

لقد كتب للنْدَنْ قبل نحوِ شهر: لا اتردد في التأكيد على أن الوزارة الهندية مصممة بعنادٍ على أن تفعلَ ما في طاقتها لتمنعَ إقامة باكستان على أسس ثابتة(١).

ولكن نقاط الخلاف كانت بسيطة وواضحة، فقرار المهراجا، مهما كان خاطئاً، جعل ولاية كشمير أرضاً هندية، فإذا دخلها الجيش الباكستاني ستقوم حرب بين الهنْد وباكستان بصورة رسمية شاملة. والأوامر الصادرة من (هوايت هولْ) تمنعُ تدخل العسكرين البريطانيين العاملين هناك في مثل هذا الموقف. وكما كان السيد جناح عارفا بأن باكستان ـ آنذاك ـ كانت أقلّ قُدرةً من الهنْد على التخلي عن المدربين في جيشها من كبار الضُبّاط البريطانيين، لسبب التخلف النسبي للجالية المسلمة في الهند في ميدان التربية والتعليم، كما ذكرَ سابقاً. على كل حال لاشك انه تبين للسيد جناح بصورة دقيقة ضرورة تحاشي الحرب مع الهنْد قدر الإمكان لسبب تفوق الأخيرة ليس بعدد الرجال فقط بل بالعتاد والذخيرة ـ بخاصة بعد عدم تقيدها باتفاقيات التقسيم.

إضافة لذلك، وهذا هو السبب الآخر، كان لباكستان ـ آنذاك ـ آمال كبيرة في ان تصلح الهند خطأها باسلوب عادل في موضوع ضم كشمير، بالطرق الدبلوماسية. فيمكن حث بريطانيا على التوسط في الأمر أو حتى (الكومنولث) كمنظّمة، كذلك يمكن اللجوء إلى الامم المتحدة(٢) وإذا ما أجريَ الاستفتاء بأمانة لم يكن لدى الباكستانيين شك في نتيجته. لذا رغم أن باكستان كانت مُكبلةً عسكريا، ولم تكن مسرورة من ذلك، ربما يكون ذلك في النهاية أفضل طريق للنجاح السياسي.

وبعد إنزال قواتها من الجو بالقرْب من (سرينغار) استطاعت القوات الهندية المدربة أن تُجلي بدون صعوبةٍ تُذكر، رجال القبائل عن الوادي في كشمير وتُخرجهم من (برامُولا) وتجعلهم يتقهقرون على محاذاة نَهْر (جيلهمْ) إلى نقطةٍ أبعدَ من (أوري) ولكن توقفت القوات الهندية هناك إذْ اصبحت خطوط تموينها طويلة جداً. وفكرّ النقاد أنها بهذا ستتعرض لهجمات الثوار من الجانبيين مثلما حوصرتْ مرآت عديدة وحدات بريطانية صغيرة في

(١) ويستحقّ تقريره قراءة كاملة في كتاب (كُوْنِلْ) صفحة ٩٢٠ . ٩٢١.

(٢) كان ذلك في أول كانون ثاني ـ يناير ـ بطلب من الهنْد في الواقع. ولكن باكستان اقترحت ذلك قبلاً في ١٦ تشرين ثاني ـ نوفمبر ـ وأول اقتراح عن احتمال ذلك كان من اللورد (مونتباتِنْ) في أوائل تشرين ثاني ـ نوفمبر ـ.

الماضي في الولاية الحدودية الشمالية الغربية. ولكن المقارنة ليست صحيحة لأنّ رجال القبائل يذودون هنا عن حماهم في أرضٍ لم يعتادوها. والواقع لم يحدث تغيير كبير على جبهة (أوري) طوال الحملة وانتقل الاهتمام والتركيز على مدينة (بُونْشْ) حيث حوصرت بعض قوات المهَرَاجا وبعض القوات الهندية وعدد كبير من المدنيين الهنْدوس من قبل ثُوار كشمير الحرة. وبقيت هذه الجبهة لمدة عشرة أشهر جُرحاً استراتيجياً لايندمل للقوات الهندية. فتموينها جواً كان امراً صعباً ومحاولاتها المتكررة لفك الحصار واستقدام قوات جديدة باءت بالفشل. ولكن خلال الشتاء استطاعت تحسْين خطوط تموينها عبْر مَمر (بانيهال) فزادت بصورة عامة من قوتها وفي هجوم ربيعي قوي استطاعت الوصول تقريباً حتى (بُونْشْ) مُسببة بذلك موجةً جديدة من اللاجئين المسلمين إلى باكستان الغربية مثيرين بذلك، لفترةٍ قصيرة، وَضْعاً عسكرياً خطيراً جداً في محاذاة نَهْرِ (كيشينغانغا) بالقرب من (تِتْوال) شمال غرب (أوري) حيث نجحت القوات الهندية دون مقاومة تذكر.

واقنعت هذه التطورات الهائلة حكومة باكستان انه يجب القيام بعملٍ إيجابي مهما كانت المخاطر. فمن الواضح أن ثوار كشمير الحرّة ورجال القبائل الباثان لم يُثْبتوا انهم ند للقوات الهندية بخاصة بعد تعزيزها. وأي موجة أخرى من اللاجئين ستزيد من صعوبات الإدارة المدنية في باكستان، وبسَبَب الأمن الاستراتيجي مُسْتقْبلاً لاتستطيع باكستان ـ مهما كانت الظروف ـ أن تَسْمح باحتلال الجزء الباقي من كشمير المتاخم لحدودها، لذلك أرسلتْ وحدات من الجيش ووحدات من حراس الحدود لتتخذ مواقع دفاعية معينة هناك. حدث ذلك في أيار ـ مايو ـ نتيجة تقديرات للحقائق العسكرية التي قدمها في العشرين من نيسان ـ إبريل ـ الجنرال (غريسي)[1]. ولكن لم يُعلن ذلك إلا في آب ـ أغسطس ـ ولايمكن الإنكار أن افراداً أو مجموعات صغيرة من الجيش الباكستاني، بما فيهم بعض كبار الضباط، كانوا في كشمير ـ وكانوا في إجازة ـ حيث ساعدوا الثوار هناك. ومن الناحية النظرية كان هذا الأمر خطأً إلا إنه في الواقع لم يكن من السهل الحؤول دون ذلك.

وابتُكِرت طريقة ممتازة لتحويل الأنظار آنذاك. بعض الكشافة من (جلْجتْ) تسلقوا الجبال العالية إثر ذوبان الثلوج في فَصْلٍ لم يكن أحد يعتقد أن بمقدور أي إنسان القيام بهذه الرحلة، وظهروا فجأةً على قمة (زوجيلا) المدخل الرئيسي لوادي كشمير من الشرق،

(١) وأصبح قائداً أعلى بعد أن ترك الجنرال (مسزفي) منصبه.

وانشغلَ الهنود بذلك إلا إن ردهم كان أيضاً ممتازاً فلقد صعدوا بمدرعاتهم إلى ارتفاع عشرة آلاف قدم وردّوا الكشافة على أعقابهم وباشروا بفتح الطريق عبر (كرجيل) إلى (لِهْ) مُكْتَسبين بذلك قبضة أقوى على المقاطعة البوذية الحدودية (لاداخْ)[1]. وخلال الصيف تزايد امتصاص كشمير للامكانات المادية المحدودة في الرجال والعتاد والقدرة للجيشين المتنافسيْن الحديثين ـ الهندي والباكستاني ـ مما جَعَلَ المراقبين الأجانب من الأصدقاء ينبهون لذلك. وأخيراً في تشرين أول ـ أكتوبر ـ أتم الهنود إغاثة مدينة (بُونْشْ) وأكسبتهم حملتهم القوية في كل انحاء الولاية مزيداً من الأرض مسببة موجة جديدة من لجوء المسلمين المدنيين المذعورين إلى باكستان.

وكان الردّ الباكستاني في حركةٍ شجاعة لاتزال الآراء حولها متناقضة، إذْ سحبوا قوات من سهول البنجاب حول (لاهور) تاركين في هذه المدينة حامية قليلة جداً، ونقلوها مع قوات أخرى إلى نقطة غرْب مدينة (جامو) على مقربة من الطريق الرئيس الذي حسَّنهُ حديثا الهنود، المؤدي لمدينة (بونْش) وكانت القوات الباكستانية في كانون أوّل ـ ديسمبر ـ تُحضر لهجوم... لَوحدثَ فعلاً لَحُصِرتْ القوات الهندية كُلها ـ لوائين تقريباً ـ في كيسٍ مُغْلَقٍ في مقاطعة (بونْشْ) ولأسباب غامضه، بَعْضُها بلاشك كان خوف باكستان من أن ذلك قد يؤدي لهجوم هندي على (لاهور) مما ستنتجُ عنه حرب واسعة بين الدولتين، لم يَحْصَل الهجوم الباكستاني أبداً باستثناء قَصْفٍ مدفعي مركز على منطقة قُرب جسرٍ هندي حيوي هام في (بري بتانْ)، والذي كشفَ التأثير القوي الذي كان سينتجُ عن الهجوم... لو حصل.

وتتابعت الأحداث بعد ذلك متسارعة. فبعد أيام اعلن الجانبان فجأة إيقاف إطلاق النار. وجاءت المبادرة من الجنرال (بوشر)[2]. أما لماذا حدث ذلك وفي ذلك التاريخ بالذات، ووجد كل من يعنيهم الأمر من الطرفين تطابقاً في وجهات النظر، وماذا كانت، بالتحديد، حسابات السيد (نهرو) والسيد (لياقة علي خان)؟ فهذه أسئلة لم يعرف الجواب عليها أبداً لان الترتيبات كانت نتيجة حديث مباشر، أو على الهاتف، ولكن ربما كان من الصحيح القول أن أكثر الباكستانيين الذين فكروا في جمود الجبهة الذي استمر طويلا، يعتقدون أن وقف إطلاق النار ـ أي الهدنة كان خطأً.

---

(١) القبضة التي اضعَفها الصنيون بعد ذلك في بعض المناطق إذْ فتحوا طريقاً للسيارات عام ١٩٥٧ عبْر الهضاب الجْرداء لِ (أكْسي تْشنْ) في أقصى الشمال الشرقي.

(٢) كان آنذاك قائداً أعلى للجيش الهندي بعد ماترك الجنرال (لُوكْتهارْتْ) منصبه.